The impact of linguistic substitution in what Al-Zubaidi (T: 1205 AH) was unique in in the bride's crown

Riyad Muhammad Odah Hamad Al-Hamdani
Department of Religious Education and Islamic Studies
Sunni Endowment
readh85@yahoo.com

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i141.1818

Abstract:

Praise be to God who taught by the pen, taught man what he did not know, and blessings and peace be upon our master Muhammad, the master of Arabs and non-Arabs, and upon his family and companions and those who followed them and followed their path until the Day of Judgment. And yet:

Linguistic substitution is one of the important phenomena that had a great impact on building the Arabic lexicon, and on the multiplicity of connotations of words in it. The researcher here is trying to reveal the effect of the phenomenon of linguistic substitution in a number of words that were devoid of Arabic dictionaries and only appeared in Al-Zubaidi (T.: 1205 AH) in his crown.

This study resulted in a set of results. The most important of them are the following:

1. Many of the words mentioned by Al-Zubaydi came as a result of their exposure to the phenomenon of phonemic evolution, which depends on the length of time and the succession of generations. It was affected by phonemic evolution due to the passage of time, and the phonetic relationship that governs the development of these sounds with each other.

2. The change that affected words with the process of substitution, most of it evolved from difficulty to ease, such as changing a sound with an easier sound than it, and because of it new words appear that have an origin that evolved from it.

Keywords: grammatical substitution. exclusivity. Zubaidi. Crown of the bride

أَثر الإبدال اللّغويّ فيما تفرَّدَ به الزَّبيديّ (ت:١٢٠٥هـــ) في تاج العروس.

م. م. رياض محمّد عَودَة حمد الحمداني
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ الوقف السني.

(مُلَخَّصُ البَحث)

الحَمدُ للهِ الّذي علَّمَ بالقَلَم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، والصّلاةُ والسَّلام على سيدِنا محمدٍ سيِّد الأعرابِ والعَجَم، وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الـدِّين. وبعد:

فإنَّ الإبدالَ اللّغويّ من الظّواهرِ المُهمَّة الّتي كان لها أثرٌ كبيرٌ في بناءِ المُعجم العربيّ، وفي تعدّدِ دلالات الألفاظ فيه. ويحاول الباحث هنا أن يكشفَ النِّقابَ عن أثرِ ظاهرةِ الإبدالِ اللّغويّ في عددٍ من الألفاظِ الّتي خلت المعجماتُ العربيّةُ منها ولم ترد إلّا عند الزَّبيديّ (ت: ١٢٠٥هـــ) في تاجه.

وقد تمخض عن هذه الدراسة مجموعة من النتائج. أهمها ما يأتي:

١. إنّ كثيرًا من الألفاظ الّتي ذكرها الزَّبيديّ جاءت نتيجةً لتعرُّضها لظاهرة التّطور الصّوتي الّتي تعتمد على طول المدّة الزّمنيّة وتعاقب الأجيال، فأصابها تطور صوتي بفعل تقادم الزّمن، والعلاقة الصّوتية الّتي تحكم تطوّر هذه الأصوات مع بعضها.

٢. إنَّ التّغيّر الّذي أصاب الألفاظ بعمليّة الإبدال أغلبه تطور من الصّعوبة إلى السّهولة كأن يُبدل صوت بصوتٍ أسهل منه، فتظهر بسببه ألفاظٌ جديدةٌ لها أصلٌ تطورت عنه.

الكلمات المفتاحية: الإبدال اللغوي، التفرد، الزبيدي، تاج العروس.

المَبحَثُ الأوَّلُ: ما تفرَّدَ بهِ الزَّبيديّ في بابِ الثّلاثيّ.

١: لَبَشَ:

تَفرَّدَ الزَّبيديُّ بهذا اللّفظِ، فَلَم يردْ هذا البناءُ في المُعجماتِ الّتي سبقتْهُ، وقد فسَّرَهُ بـ (الخلط) (يُنْظَر: تاج العروس ، (ل ب ش) ٣٧١/١٧). وهذا اللفظُ يناظرُ لفظَينِ ذكرهما المعجميّون وهما: (لَبَسَ) و(لَبَكَ)، أمّا (لَبَسَ) فيدلُّ على معنى (لبش) نفسه وهو (الاختلاط) (يُنْظَر: جمهرة اللغة (لبس) ، ٣٤١/١، وتهذيب اللغة ، (لبس)،٣٠٧/١٢) ومنه قوله تعالى: ((وللبسنا عليهم ما يَلبِسون)) [الأنعام: من الآية ٩]، " واللّبسُ: خلط يعرض في الصفات والمعاني بحيث يعسر تمييز بعضها عن بعض" (التحرير والتنوير، ١٤٦/٧).

اللفظان (لَبَشَ) و (لَبَسَ) يتضارعان في الأصوات، فلا يختلفان إلّا في لامِ الكلمة، فهو في لَبَسَ (سينٌ) وفي لَبَشَ (شينٌ) وهذان الصوتان (أي: السّين والشّين) يختلفان في

المخرج فالسين أسلية، والشين شجرية. ويتفقان في عدد من الصفات وهي: (الهمس، الرخاوة، والإصمات، والاستفال، والانفتاح)(يُنْظَر: العين ، ٥٨/١، والنشر في القراءات العشر، ٢٠٠/١ـــ ٢٠٣). ممّا يسوّغ وقوع الإبدال بينهما على رأي من يقول بذلك. نحو قولهم في معنى زاحمته: (جاحشَ وجاحسَ) (يُنْظَر: القلب والإبدال لابن السكيت ،١٢) وفي معنى السّواد: (غبشَ وغبسَ) (يُنْظَر: دراسات في فقه اللغة، ٢٢٧).

وأمَّا اللّفظُ الآخرُ الّذي يضارعُ كلمة (لَبَشَ) فهو (لَبَكَ) الّذي يدلُّ على معنى (الخلط) أيضًا (يُنْظَر: العين ، (لبك) ، ٣٧٧/٥). و(لَبَشَ ولَبَكَ) لا يختلفان إلّا في لامِ الكلمةِ، فهو في (لَبَشَ) شينٌ وفي (لَبَكَ) كافٌ، ومخرج الكاف من أقصى اللسان مهموس شديد(يُنْظَر: العين، ٤٣٣/٤ـــ ٤٣٤) .

المُلاحَظ أنَّ هناكَ تقاربًا في المخرجِ واتفاقًا في أغلب الصّفاتِ بين الشّين والكاف . فكلاهما: (مهموس، منفتح، مستفل، مصمت) ممّا يسوّغ وقوع الإبدال بينهما على رأي من يرى صحّة وقوع هكذا نوع من الإبدال، فيقولون: (لَبيش) بدل (لبيك) (يُنْظَر: الكتاب ، ٤/ ٤٣٣ـــ٤٣٤).

ممّا سبق يظهر أنَّه قد يكون أصل (بَشَ) هو(لَبَكَ) وقد أُبدِلَت الكافُ شينًا.

٢: لَكَشَ:

يُعَدُّ هذا البناء من الأبنيةِ الّتي خَلَتْ منهُ المعجماتُ العربيّةُ الّتي سبقَتِ الزَّبيديّ. فهو متفرّد به، وذَكَرَ أنَّ معناهُ الضّرب بجُمْع اليد (يُنْظَر: تاج العروس، (ل ك ش)، ٣٧٢/١٧). وقد ذكر المعجميّون عددًا من الألفاظِ الّتي تدلُّ على معنى (لَكَش) نفسه، وهذه الألفاظُ هي : (لَكَحَ) (يُنْظَر: جمهرة اللغة، (لكح) ، ٥٣/١، ولسان العرب، (ل ك ح) ٢/ ٥٨٤) و (وكَزَ) (يُنْظَر: العين ، (وكز)، ٣٩٤/٥، والصحاح ، (وكز) ، ٩٠١/٣) و (لَكَزَ) (يُنْظَر: العين، (لكز) ٣٢١/٥، وتهذيب اللغة، (لكز) ـ٥٨/١٠، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (لكز) ، ٦١٠٥/٩) و(لَكَضَ) (يُنْظَر : التكملة والذيل والصلة (ل ك ض) ، ٩٠/٤، والقاموس المحيط ، ١/ ٦٥٣).

اللفظان (لكش) و (لكح) يتضارعان في الأصوات ، فلا يختلفان إلّا في لام الكلمة ، فهو في لكش (شينٌ) وفي لكح (حاءٌ) . وهذان الصّوتان (أي : الشّين والحاء) يختلفان مخرجًا ويتفقان صفة، فمخرجُ الحاء من وسط الحلق، ومخرج الشّين من بين وسط اللّسان والحنك الأعلى(يُنْظَر: الكتاب ، ٤/ ٤٣٣) ، ويتفقان في صفة الهمس والاستفال والانفتاح والرّخاوة والاصمات (يُنْظَر: الكتاب، ٤٣٤/٤). وهذا التّوافق في الصّفات قد يسوّغ وقوع الإبدال بينهما ، وقد ذكرت كتبُ اللّغةِ عددًا من الإمثلةِ على هذا النّوع من الإبدال نحو: تفحجتِ النّاقةُ وتفشجت، وفحيح وفشيش، وحطَّطَ وشطّطَ (يُنْظَر: الإبدال، ٢٨٩/١، ومعجم متن اللغة، (ف د ي)، ٤/ ٣٧٤) ، واستوحيتُ الكلب واستوشيته(يُنْظَر: الإبدال، ٢٨٩/١، وتاج العروس ، (وحى) ، ١٧٤/٤).

أمَّا اللّفظ الآخر الّذي يتضارع مع (لكش) فهو : (وكز) الّذي يدلُّ على معنى اللّكش نفسهِ (يُنْظَر: العين، (وكز) ٣١٢/١)، فقد يكون أصلُ اللّام في (لكش) واوًا و أصل الشين فيها زايًا، فقد تُبدَل الواو لامًا نحو قولهم : الجلخ والجوخ (يُنْظَر: الإبدال ، ١٢١/٢) ، وكذلك تبدل الزاي شينًا، نحو قولهم : زمخ وشمخ (يُنْظَر: الخصائص، ١٤٩/٢). والتعاقبُ بين أكثرِ من صوتٍ في البناءِ الواحد ثابت في اللّغة . وقد يكون اللّام في (لكش) أصل غير مبدل من غيره وقد حصل الإبدال في لام الكلمة فقط، والّذي يؤيد هذا الألفاظ الأخرى التي تتضارع معه في الأصل الأول والثّاني ولا تختلفُ عنهُ إلّا في الأصلِ الأخير ، وهذه الألفاظ هي (لكز، ولكض) فضلًا عن (لكش) التي سبق الحديث عنها.

٣: نَأَقَ:

تَفرَّد الزَّبيديّ بهذا اللّفظ، فلم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقته، والهمزة فيه بدل من العين(يُنْظَر: تاج العروس ، (نأق) ٤١١/٢٦).

الهمزةُ والعينُ صوتان حلقيان، غير أنَّ مخرج الهمزة من أقصى الحلق ومخرج العين من وسطه، وهما صوتان مجهوران، غير أنَّ صفة الهمزة الشّدة وصفة العين التّوسط بين الشّدة والرّخاوة (يُنْظَر: الكتاب، ٤٣٣/٤ــــ٤٣٥). والمُلاحَظ على هذين الصّوتين تقاربهما في المخرج والصّفة ممّا يقرِّب احتمال التّعاقب بينهما.

لقد ثبتَ في كلام العرب إبدال الهمزة إلى العين طلبًا للخفّة ؛ لأنَّ الهمزةَ صوتٌ مستثقلٌ ممّا دفعَ أهل الحجاز وغيرهم إلى تخفيفها بصوتٍ لـيِّنٍ مناسبٍ للحركةِ التي تسبقه (ينظَر: شرح الملوكي في التصريف ٢٢٨، والأصوات اللغويّة ٧٨) ، وذهبَ بنو تميمٍ إلى إبدالِ الهمزة عينًا ، فيقولون: (عَنَّ) بدل (إنَّ) (يُنْظَر: الصاحبي في فقه اللغة العربية،٢٩)، ورُوي فِي حديث قَيْلَة: "تَحسب عَنِّي نائمةٌ"، أرادت تَحْسب أني، وهذه لُغة تميم (غريب الحديث لأبي عبيد، ٥٤/٣، و الصاحبي في فقه اللغة العربية،٢٩)، وهذا الإبدالُ لا خلافَ فيه ؛ لأنَّه جارٍ على سننِ العربِ في كلامها من فرارهم من الصّعوبةِ إلى السّهولةِ.

أَمَّا إبدالُ العين همزة فهو محلّ خلافٍ بين علماءِ العربيّةِ ؛ لأَنَّهُ يخالف سننها فينتقل من السّهل إلى الصّعب ممَّا دفع كثيرًا منهم إلى انكاره (يُنْظَر: شرح شافية ابن الحاجب، ٢٠٧/٣) قالَ إبراهيمُ السّامرائيُّ: " وقد أبدلت العين من الهمزة كثيرًا في العربيّة ولم يحدث العكس في العربيّة مطلقًا" (دراسات في اللغتين السريانية والعربيّة، ١٨) وذهب فريق آخر إلى صحة إبدال العين همزة ما دام اللفظان بمعنى واحدٍ والصّوتان متَّحدان مخرجًا وإن لم يكن كثيرًا (يُنْظَر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ١٣٩) فإذا وجدَ تطورٌ من السّهل إلى الصّعب فإنَّ ذلك ناتج عن أسباب خاصّة تبرز هذا التّطور(يُنْظَر: الأصوات اللغويّة، ١٦٦). وعلى هذا قد يكون أصل كلمة

(نَأَق) هو (نعق) قد أُبدِلَ صوتُ العينِ فيها إلى همزة، وهذا ما صرّح به الزَّبيديُّ نفسُه بقوله : " الهمْزةُ بدَلٌ من العيْن" (تاج العروس ، (نأق) ٤١١/٢٦).

٤: يَزَعَ:

تَفرَّد الزَّبيديّ بهذا اللّفظ، فلم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقته، وقد فسّره بالزّاجر (يُنْظَر: تاج العروس، (يزع) ، ٤٢٩/٢٢). وعند النّظر في أصول هذا اللفظ تجد أنَّه يتكون من الياء الهوائيّة عند الخليل(يُنْظَر: العين، ٥٨/١) أو من بين وسط اللّسان والحَنَك الأعلى (يُنْظَر : الكتاب، ٤٣٣/٤)، والزّاي من بين الثّنايا وطرف اللّسان (يُنْظَر : الكتاب ٤ / ٤٣٤، وسر صناعة الإعراب ١ / ٦٩، وشرح المفصل ١٠ / ١٢٨) ، والعين الحلقيّة (يُنْظَر: العين، ٥٣/١، ومنهاج البحث في اللغة،٩٧، والمدخل إلى علم اللغة ، 32٣٢.)، فأصول هذه اللّفظة مُختلِفة المخارج ، ولا تكلّفَ في نطقها.

يماثلُ هذا اللّفظُ لفظًا آخر يدلُّ على معناه نفسه وهو : (وَزَعَ)، وقد ذكرهُ المعجميون الّذين سبقوا الزّبيديّ، قالَ الخليلُ: " الوَزع: كفُّ النَّفْس عن هواها" (العين: ٢٠٧/٢) وبهذا المعنى ذكره غير واحدٍ من المعجميين(يُنْظَر : تهذيب اللغة ، (وزع)، ٦٤/٣، ومختار الصّحاح، (وزع) ،٧٤٠). ولا فرقَ بين هذين اللّفظين إلّا في الأصل الأوّل (الياء والواو)، وهذا الأمر يسوقنا إلى البحث عن سبب تفرّد الزَّبيديّ بلفظ (يَزَع).

اللّفظان (يزع ، وزع) يتفقان في الأصلَينِ الثّاني والثّالث، أمّا الأصل الأوّل فهو صوت لين في اللفظينِ ، فالواو والياء هوائيان مخرجًا. ومن حيث الصّفات بينهما اتفاق تام في الصّفات وهذا ما يتيح إمكان وقوع الإبدال بينهما ، فقد تكون الياء في (يزع) مبدلةً من الواو في (وزع) ،ومثل هذا الإبدال يكثر في كلام العرب ؛ لاتفاق الصّوتينِ في المخرج والصّفة ، فهو نظير قولهم : اللّوت واللّيت، والموث والميث (يُنْظَر : الابدال، لأبي الطيب اللغوي،٤٦٧/٢). وقد عزا الزَّبيديّ هذا إلى لغة هذيل ، فقال في تفسير (يزع) : " أرادَ بهِ الزّاجِر، وهِيَ لُغَةٌ لهُذَيْلٍ فِي الوازِع، قَلْبُ الواوِ يَاء طَلَباً للخِفَّةِ" (تاج العروس ،(يزع)، ٤٢٩/٢٢). ومنه قول حُصيب الضَّمريّ: (شرح أشعار الهذليين، ٣٣٧، وتهذيب اللّغة ، ٦٥/٣، ولسان العرب ٨/ ٣٩٠، (وزع)

(البسيط)

لما رأيت بني عَمْرٍو ويازِعَهُم أيْقَنْتُ أنّي لهمْ في هذه قود

" أَرادَ وازِعَهم فَقَلَبَ الْوَاوَ يَاءً طَلَبًا لِلْخِفَّةِ" (لسان العرب ٨/ ٣٩٠، (وزع).، ويُنْظَر: تاج العروس ،(وزع)، ٣٢١/٢٢). ومن هنا يظهر أنَّ الأصل في هذه المادة هو الواو؛ لهذا أثبتت المعجمات العربيّة لفظ (وَزَع) لا (يزع)، وبذلك" يظهر أنَّ الكلمة إذا جاءت بنطقين أحدهما يحتوي على الواو والآخر على الياء فإنَّ الّتي تحتوي على الواو هي الأصليّة والتي تحتوي على الياء هي الفرعيّة" (إبدال الحروف في اللهجات العربيّة، ٥٥٨).

المَبحث الثَّاني ما تفرَّدَ به الزَّبيديّ في باب غير الثّلاثيّ.

١: دمرص:

تَفرَّد الزَّبيديّ بهذا اللّفظ، فلم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقته، وقد فسّره بالبَرَّاق (يُنْظَر: تاج العروس، (د م ر ص)، ٥٩٠/١٧) .

توافق هذه اللّفظة لفظةً أخرى وردت في عددٍ من المعجمات العربيّة وهي (دملص) قال الخليل: " دملص: الدُّلامِصُ: البَرّاق، وذَهَبٌ دُلامِصٌ ودُلَمِصٌ ودُمالِصٌ ودُمَلِصٌ، أي بَرّاقٌ يبرُق بُرُوقًا شديدًا" (العين، دلمص، ١٧٨/٧) وتابعه في هذا عدد من أصحاب المعجمات (يُنْظَر: كتاب الألفاظ ، ابن السكيت، ٩٨، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٢١٦١/٤، ولسان العرب، (دملص)، ٣٩/٧).

من المُلاحَظ أنَّ (دمرص) و(دملص) بينهما توافق تام في البناء ، فلا يختلفان إلّا بصوتٍ واحدٍ وهو الرّاء في (دمرص) واللام في (دملص)، وهذان الصّوتان من الأصوات الّتي يحدث بينها إبدال؛ لاتفاقهما في المخرج الصّوتيّ ، فمخرجهما من ذلق اللّسان (يُنْظَر: العين ، (المقدمة) ، ١/ ٥٨. والكتاب، ٤/ ٤٣٣، والنّشر في القراءات العشر،١/ ٢٠٠، الأصوات اللّغويّة، ٦٦) وبينهما اتحاد في الصّفات (يُنْظَر: الرعاية لتجويد القراءة ، ١١٦ـــــ ١٢٤) ولا يختلفان إلّا بصفة التّكرير في الرّاء، والانحراف في اللّام، قال الدّكتور أحمد مختار عمر: " اللّام والرّاء من مخرج واحد، وكلاهما من النّوع المجهور، ولكن تتميز الرّاء بأنَّها صوت مكرر يضرب اللّسان معه في اللّثة ضربات متتالية ، ممّا يجعله صوتًا مركّبًا بالنّسبة لصوت اللّام" (دراسة الصوت اللغويّ، ٣٩٦)، وقد يستصعب على اللّسان نطق الرّاء ؛ لأَنّهُ يحتاج إلى جهدٍ عضليّ على خلاف اللّام ؛ لذلك تميل الألسن إلى إبدال الرّاء لامًا طلبًا للخفّة (يُنْظَر: المدخل إلى علم اللغة، ٤٨ـــــ٤٩). فَبَيْن الرّاء واللّام اشتراك صوتيّ، فهما متقاربان في المخرج والصّفة ؛ ولهذا فهما يتعاقبان في كلام العرب، نحو نثلَ ونثرَ (يُنْظَر: المزهر،١/ ٣٥٥)، فيمكن أن يكون هذا منه، ويمكن أن تكون اللفظتان تمثلان بيئتَينِ لغويتَينِ مُختلفتَينِ.

٢: غَندَل:

تَفرَّد الزَّبيديّ بهذا اللّفظ، فلم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقته، وقد فسّره بِالضَّخْمُ الرَّأسِ من الرِّجالِ(يُنْظَر: تاج العروس، (غندل) ،١٢٧/٣٠) وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ من المعجميين لفظًا يضارع هذا اللّفظ في البناء ويوافقه في المعنى وهو لفظ (قندل) (يُنْظَر: العين، (ق د) ٢٦١/٥، والجيم، (ق)، ٩٠/٣، وجمهرة اللغة، (دحه)، ٦٥٧/٣، وتهذيب اللغة، (ق،د) ٣٠٦/٩، والمحكم والمحيط الأعظم، (ق،د) ٦/ ٦٢٨) وقد ورد هذا اللّفظ بالقاف على لسان أمية بن أبي عائذ (الطويل) (شرح أشعار الهذليين ،٥٢٤) :

فذلك يومٌ لنْ تُرى أُمَّ نافِعٍ على مُثفَنٍ من وُلْدِ صَعدة قَنْدلِ

من الواضح أنَّ اللفظينِ (غندل) و(قندل) لا يختلفان في البناء إلّا في الأصل الأوّل (القاف) و(الغين) ومخرج القاف من أقصى اللّسان وما فوق الحنك الأعلى ومخرج الغين من أدنى الحلق ، وهذان الصّوتان يتفقان في صفة الجهر ويختلفان في صفة الشّدة والرّخاوة ، فالقاف شديدٌ والغين رخو (يُنْظَر: الكتاب، ٤/٤٣٣ـــــ ٤٣٤) فهما متقاربان في المخرج والصّفة، وقد وردت في بعض اللّهجات العربية ظاهرة إبدال القاف غيناً، فهل يمكن أن يكون هذا منه؟

أوردت المعجماتُ العربيّةُ عددًا من المواد بالقاف والغين في موضع واحد منها : " تزيقت المرأة تزيّقاً وتزيغت تزيغاً إذا تزّينت" (الجراثيم، ١/٢٨٦، ويُنْظَر: معجم ديوان الأدب، ٣/٤٥٨، وتهذيب اللغة ، (ق ،ز) ٩/١٨٧)، ومنه : " رَجُلٌ غَمَزٌ مِنْ قَوْمٍ غَمَزٍ وأَغْمازٍ؛ والقَمَزُ مِثْلُ الغَمَز" (لسان العرب، ٥/٣٨٩) وقال ثعلب (ت:٢٩١ه) : " والوقب والوغب: النّذل الدّنيء" (المجالس، ١٠٩).

إنَّ إبدال القاف غيناً والغين قافاً ، نُسِبَ انتشاره في عدد من مناطق الوطن العربيّ ، منها الجزائر والسّودان واليمن والخليج العربيّ ومصر العربيّة والعراق (يُنْظَر: من أصول اللهجات العربيّة في السودان، ٤٧، واللهجات العربيّة في اليمن، ٨٦، وإبدال الحروف في اللهجات العربيّة،٢٧١ـــــ ٢٧٥) ، ونسب الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ هذا النّوع من الإبدال إلى بدو العراق وقراه وإلى أغلب اللّهجات العربيّة . فقال: " كما يعرض للّغة البدو أَنْ يحصل الإبدال بين الغين والقاف ، فهم يقولون : قزال وقازي وقرب ويريدون بها : غزال وغازي وغرب كما يقولون: شرغ وغرد ورغم يريدون بها: شرق وقرد ورقم ، وهذا واقع في أغلب اللّهجات العربيّة من شماله إلى جنوبه . وأظنُّ هذه بقيّة البداوة في هذه اللهجات" (التوزيع اللغويّ الجغرافيّ في العراق، ١٤٠، ويُنْظَر: إبدال الحروف في اللهجات العربيّة، ٢٧٥).

وبناءً على ما سبقَ ذكره في الحديث عن (غندل) و(قندل) يَظهر أنَّ الأصل فيهما هو القاف؛ لأنّ أصحاب المعجمات كلّهم قد ذكروا هذا اللّفظ بالقاف لا بالغين، وقد حصل تعاقب بين القاف والغين وفقًا لبعض اللّهجات العربيّة الّتي تبدل القاف غيناً والغينَ قافاً.

٣: كعمش:

لم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقت الزّبيديّ، وقد ذكره الزّبيدي وفسّره بالتّشنج (يُنْظَر : تاج العروس ، (ك ع م ش) ١٧/ ٣٦٤). وذكر غيره لفظًا يوافق لفظ (كعمش) في اللّفظ والدّلالة وهو (كعبش)(يُنْظَر: المحيط في اللغة، (ك ع ب ش) ٢/٢١٨، والتكملة والذيل والصلة ، (ك ع ب ش)، ٣/ ٥٠٩، ومعجم متن اللغة، ٥/ ٧٦).

المُلاحَظ أنَّ هذين اللّفظين لا يختلفان إلّا في الميم في كعمش والباء في كعبش، وهذان الصّوتان متوافقان مخرجًا وصفة (يُنْظَر: الكتاب، ٤/ ٤٣٤ـــــ ٤٣٧) ممّا يسوّغ وقوع التّعاقب بينهما، وقد ذكرت كتبُ اللّغةِ عددًا من أمثلة التّعاقب بين الميم والباء، نحو: الرّمداء

والرّبداء(يُنْظَر : لسان العرب، (ر م د) ، ١٨٥/٣. والابدال ، ١/ ٣٨) ، وإرماء وإرباء، والعقمة والعقبة (يُنْظَر : الابدال ، ١/ ٣٨ــــ ٤٠). وعليهِ ، قد يكون سبب تفرّد الزّبيدي بلفظ (كعمش) هو الإبدال من لفظ (كعبش).

٤: هَثْرَم:

لم يرد هذا البناء في المعجمات الّتي سبقت الزّبيديّ ، وقد ذكره الزّبيدي نقلًا عن ابن القَطّاع الصّقليّ (ت: ٥١٥هـ) (يُنْظَر: الأفعال ، ٣٧٠/٣) وقد فسّره بكثرة الكلام والسّرعة فيه (يُنْظَر: تاج العروس، (هثرم) ، ٦٩/٣٤) .

يناظر هذا اللّفظ عددًا من الألفاظ الّتي ذكرها المعجميون وهي : (هتمرَ) (يُنْظَر: جمهرة اللغة، (ت،ذ) ، ١١٢٩/٢ ، والمحكم والمحيط الأعظم،(هـــ ،ذ) ، ٤٨٦/٤، ولسان العرب، (هتمر) ٢٥٠/٥) و (هتمنَ) (يُنْظَر: تاج العروس، (هتمل)،٢٧٣/٣٦) و(حذرمَ) (يُنْظَر: كتاب الأفعال لابن القطاع ،٢٧٢/١) و(هذربَ) (يُنْظَر: التكملة والذيل والصلة، (هذرب) ٢٨٩/١، ولسان العرب(هذرب)،٧٨٣/١، وتاج العروس، (هـذرب) ، ٣٨٨/٤، ومعجم متن اللغة ، ٦١٧/٥) و(جردمَ) (يُنْظَر: الصحاح ، (ج رد م)، ١٨٨٦/٥، والمحكم والمحيط الأعظم، (ج ر د م)، ٥٩٠/٧، والمعجم الوسيط، (جردم) ، ١١٦/١) و(هذرمَ) و(هثمرَ) و (هترمَ) و(هتملَ) ، يقول ابن سيده (ت: ٤٥٨ه) : " والحذرمة والهذرمة والهبرمة والهتمرة وَقد هتمر والهترمة والجردمة كُله، كَثْرَة الْكَلَام" (المخصص، ٢١٥/١) والّذي يعنينا من هذه الألفاظ في هذا المقام هي: (هذرم وحذرم وهذرب)، فأمّا (هذرم) فيوافق (هثرم) في معناه ولا يختلف عنه في بنائه إلّا في عين الفعل ، فهي في (هثرم) ثاء وفي (هذرم) ذال.

ذكر علماؤنا المتقدّمون مخرج الذّال من بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا (يُنْظَر : الكتاب ، ٤٣٣/٤) وهو صوتٌ مجهورٌ رخوٌ منفتحٌ (يُنْظَر: نفسه، ٤٣٤ــــ٤٣٦)، أمَّا الثّاء فمخرجه من بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا وهو مهموسٌ رخوٌ(يُنْظَر: الكتاب، ٤٣٤-٤٣٦)، وهذا يعني أنَّ بين الثّاء والذّال توافقًا في المخرج وتقاربًا في الصّفات ممَّا يقرِّب احتمال التّعاقب بينهما.

وقد ذكر اللّغويون ما يثبتُ صحة تعاقب الثّاء والذّال في اللّغة ، فقالوا : " وجَذا، وجَثا واحدٌ" (معجم ديوان الأدب، ٧٣/٤)، والنّبيذ والنّبيث واحد وقد تعاقب الذّال و الثّاء (يُنْظَر: المحكم والمحيط الأعظم، ٨٤/١٠، ولسان العرب، فصل النون، ٥١٢/٣) ، قال أبو الطيّب اللغوي: " الهثرمة والهذرمة: كثرة الكلام واختلاطه، يقال: هثرم في كلامه ، وهذرم في كلامه: إذا أكثر وخلط، ويقال: قد لاث به يلوث ، ولاذ به يلوذ: بمعنى واحد" (الإبدال، ١٦٠ــ١٦١) وهكذا يُعدُّ إبدال الثّاء إلى ذال قانونًا تتحوّل فيه الأصوات من الهمس إلى الجهر(يُنْظَر: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ٤٢٥).

أَمَّا اللّفظ الآخر الّذي يعنينا في هذا المقام فهو (حذرم) الّذي يوافق بناؤه لفظ (هذرم) ولا يختلف عنه إلّا في فاء الكلمة ، فالفاء في (هذرم) هاء وفي (حذرم) حاء ، وهذان الصّوتان حلقيان ، إذ إنَّ مخرج الهاء من أقصى الحلق ، والحاء من وسطه (يُنْظَر :

العين،٥٧/١، والكتاب، ٤٣٣/٤) وهما صوتان مهموسان رخوان(يُنْظَر الكتاب، ٤٤٩/٤، والرعاية لتجويد القراءة، ١١٦ـــ١٢٤) قالَ الخليلُ: "... ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة همّة لأَشْبَهَت الحاء لُقْرب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّز واحد بعضها أرفع من بعض" (العين، ٥٧/١).

إنَّ اتفاق صوتيّ (الهاء والحاء) في المخرج والصّفة يرجح احتمال وقوع الإبدال بينهما ؛ لأنَّ توافق الأصوات في المخرج والصّفة من أهم أسباب ومسوغات وقوع التّعاقب بينها، ولا سيما عند اتفاقها في الدّلالة ، وهو ما يمكن أن يحصل بين (هذرم) و (حذرم) . والتّعاقب بين هذين الصّوتين ظاهرة موجودة في كتب اللّغويين ، منها : (مدح ومده) و (كدح وكده) و(حبش و هبش) و(صحل وصهل) (يُنْظَر : القلب والإبدال لابن السكيت، ٨، والإبدال لأبي الطيب اللغوي، ٣١٣ـــ٣٢٧) قال ابن السّكّيت (ت: ٢٤٤هـــ): " ويقال حقحق في السّير وهقهق إذا سار سيرًا متعبًا،إنّما أصله من الحقحقة وهو السّير الشّديد حتى ينقطع ثم قلب الحاء إلى الهاء؛ لأنَّها أختها" (القلب والإبدال ،٨).

وأمّا اللّفظ الثّالث الّذي يعنينا في هذا المقام فهو (هذرب) الّذي يوافق بناؤه لفظ (هذرم) ولا يختلف عنه إلّا في لام الكلمة ، فاللّام في (هذرم) ميم وفي (هذرب) باء ، وهذان الصّوتان متوافقان في المخرج ومتقاربان في الصّفة ، فلا يفترقان إلّا في صفة الشّدة في الباء والرّخاوة في الميم(يُنْظَر: الكتاب، ٤٣٤/٤ـــ٤٣٦) ؛ " ولتقاربهما مخرجًا وصفة كثر في الكلام تعاقبهما" (الإبدال لأبي الطيب اللغوي، ٣٧) منها: (مخر وبخر) و (راتم وراتب) و (نغب ونغم) (الممتع الكبير في التصريف، ٢٦٠)، و (سمد وسبد) (مقاييس اللغة ، (سمد) ، ١٠٠/٣) وقد ورد في التّنزيل (بكة) بدل (مكة) قال تعالى: ((إِنّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ لَلذي ببكةَ مباركًا وهدًى للعالمين)). [آل عمران ٩٦]، قال ابنُ عاشور : " وبكّة (اسم مكَّة . وهو لغة بإبدال الميم باء في كلمات كثيرة عدّت من المترادف : مثل لازب في لازم ، وأربد وأرمد أي في لون الرماد" (التحرير والتوير، ١٢/٤).

ممَّا تقدّم يبدو لي أنَّ أصل (هثرم) هو (هذرم) وقد أُبدِلَت فيها الذال إلى ثاء ، وأُبدلَت الهاء في (هذرم) إلى حاء في (حذرم)، وممّا يُرجّح أصل عين كلمة (هثرم) ذالًا لا ثاءً مجيء كلمة (هذرب) بالذال إلى جنب كلمة (هذرم) اللّتان تدالان على معنى (هثرم) نفسه.

الخَاتِمَة:

في نهايةِ هذهِ الرّحلةِ السّريعة الّتي عشتُها مع كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس) للزَّبيديّ أقفُ مُسجِّلًا أهم النّتائج الّتي تمخَّضَ عنها هذا البحث، وهي على النَّحو الآتي:

١. لم يصرِّح الزَّبيدي في تاجه بالتّفرّد، ولم يصرّح على مَن تفرَّد.

٢. لم يذكر الزَّبيدي نقدًا لغويًا لِمَا تفرَّد به.

٣. أثبتَ البحثُ ما يتمتَّع به الزَّبيديّ من حُسْنَ الاطلاع و الثّقافة العالية، وذلك متأتٍّ من تنوُّع الألفاظِ ممّا يدل على كثرة ما اطلعَ عليهِ من الكتب في مختلَفِ العلوم .

٤. إنّ كثيرًا من الألفاظ الّتي ذكرها الزَّبيديّ جاءت نتيجةً لتعرُّضها لظاهرة التّطور الصّوتي الّتي تعتمد على طول المدّة الزّمنيّة وتعاقب الأجيال، فأصابها تطور صوتي بفعل تقادم الزّمن، والعلاقة الصّوتية الّتي تحكم تطوّر هذه الأصوات مع بعضها .

٥. إنَّ التّغيّر الّذي أصاب الألفاظ بعمليّة الإبدال أغلبه تطور من الصّعوبة إلى السّهولة كأن يُبدل صوت بصوتٍ أسهل منه، فتظهر بسببه ألفاظٌ جديدةٌ لها أصلٌ تطورت عنه.

٦. إنَّ ألفاظ اللّغة خاضعة للتّطور، شأنها شأن الكائن الحي . فتحيا بحياة المجتمع وتموت بموته.

ثبت المصادر والمراجع.

❁ أولًا: القرآن الكريم.

❁ ثانيًا: الكتب.

❖ إبدال الحروف في اللهجات العربية' د. سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي ، مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❖ الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، حققه وشرحه ونشر حواشيه الأصلية وأكمل نواقصه عز الدين التنوخي ، عضو مجمع اللغة العربي بدمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٧٩ه – ١٩٦٠م ، د.ط .

❖ الاشتقاق والتعريب، عبد القادر بن مصطفى المغربي ، الناشر : مطبعة الهلال بمصر، ١٩٠٨ ، (د.ط) .

❖ إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السّكيت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤ ١٩٨٧م.

❖ الأصوات اللّغوية، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، د. ط، ١٩٧٥م.

❖ الأفعال ، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي ، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م .

❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرّزاق الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، د. ط، د. ت.

❖ التّحرير والتّنوير، (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطّاهر ابن عاشور، الدّار الّتونسية، د. ط، ١٩٩٧م.

❖ التّكملة والذّيل والصّلة، الحسن بن محمّد بن الحسن الصّغاني، تحقيق: مجموعة من المُحقّقين، دار الكتب، القاهرة، د. ط، د. ت.

❖ تهذيب اللّغة، أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

❖ التّوزيع اللّغوي الجغرافي في العراق، إبراهيم السامرائي، مكتبة لنان ناشرون، ٢٠٠٢م.

❖ ثلاث كتب في الأضداد للأصمعي وللسجستاني ولابن السّكيت، نشرها: اوغت هفز، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، د. ط، ١٩١٢م.

❖ الجراثيم ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: محمد جاسم الحميدي ، قدم له: الدكتور مسعود بوبو ، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق ،(د.ت) ، (د.ط) .

❖ جمهرة اللّغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط٤، د. ت.
- الدّراسات اللّهجيّة والصّوتية عند ابن جني، حسام سعيد النّعيمي، دار الرّشيد، بغداد، د. ط، ١٩٨٠م.
- دراسات في اللّغتين السّريانية والعربية ، أ.د. إبراهيم السامرائي ، : مكتبة المحتسب ، الأردن ، ط١، ١٩٨٥م.
- دراسات في فقه اللّغة، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ،ط٣، ٢٠٠٩م
- دراسة الصّوت اللّغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب بالقاهرة ،، (د.ط) ١٩٩٧م.
- الرّاموز على الصّحاح، السّيّد محمّد السّيّد حسن، تحقيق: محمّد علي عبد الكريم، دار أسامة، دمشق، ط٢، ١٩٨٦م.
- الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلّاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق: أحمد حسن فرحات ، دار عمار،الأردن ط٣، ١٩٩٦م.
- سرّ اللّيال في القلب والإبدال، أحمد فارس الشّدياق، المطبعة العامرة، الآستانة، د. ط، ١٢٨٤ه.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- شرح المفصل للزّمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، المعروف بابن يعيش وبابن الصّانع، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- شرح شافية ابن الحاجب، محمّد بن الحسن الرّضي الإستراباذي، نجم الدّين ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ط، ١٩٧٥م.
- شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ،تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، مصر، (د.ت) ، (د.ط)
- شرح الملوكي في التّصريف ، : ابن يعيش ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ، ط١ ١٩٧٣م .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحِمْيَريّ ، تحقيق: حسين بن عبد الله العمريّ، ومطهر بن علي الإرياني، يوسف محمَّد عبد الله، دار الفكر المعاصر، لبنان ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- الشوارد (ما تفرد به بعض أئمة اللغة) ، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني ، تحقيق وتقديم: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ،ط١، ١٩٨٣ م .
- الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس ، نشره: محمّد علي بيضوي، ط١، ١٩٩٧م.
- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، د. ط، د. ت.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرائي، دار مكتبة الهلال، د. ط، د. ت.
- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانيّة، حيدر آباد، ط١، ١٩٦٤م.
- فقه اللّغة وخصائص العربيّة، محمّد المبارك، دار الفكر، ط٢، د. ت.
- الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة، جرجي زيدان، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- القاموس المحيط، مجد الدّين أبو طاهر الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
- الكامل في اللّغة والأدب، محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

- كتاب الأفعال، محمّد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن قوطية، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.
- اللّهجات العربية في اليمن، مراد كامل، ١٩٦٠
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر الرّازي، تحقيق: يوسف الشّيخ محمّد، المكتبة العصريّة، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
- المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، د. ط، د.ت.
- معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسّسة دار الشّعب، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣م.
- معجم متن اللّغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، ١٣٧٧-١٣٨٠ه.
- مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٩٧٩م.
- الممتع الكبير في التّصريف، علي بن مؤمن بن محمّد المعروف بابن عصفور، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- من أسرار اللّغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.
- مناهج البحث في اللّغة، تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، د. ط، د. ت.
- المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط٣، ١٩٩٧م .
- من أصول اللّهجات العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٩م
- النّشر في القراءات العشر، شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمّد الضّباع، المطبعة التّجاريّة الكبرى، د. ط، د. ت.
- نُشوء اللّغة العربيّة ونموّها واكتهالها، الأب أنستاس ماري الكرملي، المطبعة العصريّة، مصر، د. ط، د. ت.